

المقدمة:

استعمل اصطلاح الأنثروبولوجيا اللغوية أو اللسانية واللسانيات الأنثروبولوجية في الماضي تبادلياً بشكل أو بآخر وتعد أي محاولة لتعقب الفروق الدلالية أو العملية امراً معقداً، وقد حاول (D. Hymes) بوصفه مؤرخاً أنثروبولوجياً دقيقاً تثبيت استعمال مصطلح الأنثروبولوجيا اللغوية في عدد من المقالات في أوائل الستينيات، ويمكن العثور عليهما بالتناوب في اللغة والثقافة والمجتمع، إذ صرح بوضوح عن هذه النظرة ومجال الأنثروبولوجيا اللغوية الحقلي عندما وصفها بأنها دراسة الكلام واللغة في سياق الأنثروبولوجيا ودراسة اللغة كمورد ثقافي والتحدث عنها كممارسة ثقافية، وفهم الجوانب المتنوعة للغة كمجموعة من الممارسات الثقافية، وبوصفها نظام للتواصل الذي يسمح للتأثير المتبادل بين الأفراد وفي ذات الفرد وبيان مدى تمثيلها للنظام الاجتماعي والمساعدة على استعمال مثل هذه التمثيلات في الفعاليات الاجتماعية التأسيسية وجعلها (اللغة) شأناً نظرياً مركزياً وأداة لا غنى عنها في الأنثروبولوجيا الثقافية.

وهذا يعني بأن يرى علماء الأنثروبولوجيا اللغوية موضوعات دراستهم، أي المتحدثين، أولاً وقبل كل شيء، كفاعلين اجتماعيين، وأعضاء في مجتمعات معقدة بشكل مثير للاهتمام، كل منهم منظم في مجموعة متنوعة من الأنساق الاجتماعية ومن خلال شبكة تتداخل فيما بينها ولكن ليس بالضرورة مجموعات متداخلة من التوقعات والمعتقدات والقيم الأخلاقية عن العالم أو المحيط. لذا يتجه هدف البحث نحو بيان أهم الاسهامات اللغوية في مجال الدراسة الأنثروبولوجية، وتظهر الأهمية في مناقشة الأدبيات التأسيسية التي توجّهت نحو موضوع اللغة ولاسيما إسهامات (فرانس بواس) في التوجه اللغوي الوصفي على مستوى المدرسة الأنثروبولوجية الأمريكية وإسهامات (برنسلاف مالينوفسكي) في التوجه السياقي على مستوى المدرسة البريطانية.

أولاً: المجال والأهمية

يندفع تركيز علماء الأنثروبولوجيا اللغوية نحو التعامل بطرائق مبتكرة مع بعض القضايا والموضوعات التي هي في صميم البحوث الأنثروبولوجية الثقافية مثل سياسات التمثيل، وتكوين السلطة، وشرعية القوة، والأساس الثقافي للعنصرية والنزاع العرقي، وعملية التنشئة الاجتماعية، والبناء الثقافي للشخص (أو الذات)، وسياسات العاطفة، والعلاقة بين الأداء الطقوسي وأشكال الرقابة الاجتماعية أو صور الضبط الاجتماعي، وميدان المعرفة والإدراك الخاص بالأفراد، والأداء الفني وسياسات الاستهلاك الجمالي، والاتصال الثقافي والتغير الاجتماعي. وتشمل هذه الاهتمامات نقل الثقافة وتوالدها، والعلاقة بين النظم الثقافية والأشكال المختلفة للتنظيم الاجتماعي، ودور الظروف المادية للوجود في فهم الناس للعالم.

ويتجه العديد من علماء الأنثروبولوجيا الثقافية المعنيين باللغة الى رؤية اللغة في المقام الأول كنظام للتصنيف والتمثيل وفي التشديد على وجهة نظر التي مفادها بأن اللغة كمجموعة من الممارسات، تلعب دوراً أساسياً في التوسط بين الجوانب الفكرية والمادية للوجود الإنساني، وبالتالي، في إيجاد طرق معينة لبيان وجودهم وفهمهم للعالم المحيط بهم. ووجهة النظر الديناميكية هذه للغة تعطي الأنثروبولوجيا اللغوية مكانها المميز بين فروع المعرفة في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية الأخرى.

عادةً ما تشير اللغة إلى النظام البشري لوحدات الصوت (phonemes) المركب إلى كلمات، التي بدورها مجتمعة من خلال القواعد النحو (syntactically) لتشكيل نمط اتصال يمكن تحقيقه في كل من الكلام والكتابة. وتبنى العديد من علماء الأنثروبولوجيا نظرة واسعة لموضوع اللغة، عند دراسة جميع قنوات وأنماط التواصل التي يستعملها البشر لأجل تنظيم ونقل المعنى، بما في ذلك السمات شبه اللغوية أو المحاذية (paralinguistic)، مثل الإيماءة وتعبير الوجه ونبرة الصوت وما إلى ذلك، وبيان الادعاء الذي في كثير من النواحي في غير محله بأن لديها ميزة الكشف عن الجدل عما إذا كانت الحيوانات الأخرى لديها لغة. إذ أظهرت الدراسات التفصيلية

للنحل والطيور والقردة والدلافين، ضمن أشياء أخرى كثيرة، بشكل قاطع أن لديها أنظمة معقدة للغاية من الاتصالات داخل الفصائل الحياتية، والتي يمكن، بصعوبة بالغة، فك رموزها بواسطة مراقبين بشريين، كما يحدث هذا التواصل عبر الفصائل أو الأنواع، وليس أقلها بين البشر والحيوانات الأخرى، سوف يتم تأكيده من أي شخص على دراية بالحيوانات الأليفة، ومن المؤكد أن القردة والكلاب، إلى حد ما، أو يمكن أن يتم تدريب الكلاب القطط والأغنام بالكاد على التفاعل مع البشر بشكل هادف، وإلى حد ما العكس (أي مع التقارب على قناة وأسلوب اتصال مرضٍ للطرفين).

يمكن تميز الأنثروبولوجيا اللغوية في اهتمامها بالمتحدثين كممثلين اجتماعيين، وفي اللغة كمصدر ومنتج للتفاعل الاجتماعي، وفي مجتمعات الكلام ككيانات حقيقية وتصورية في وقت واحد، وأنه يتم إعادة تشكيل حدودها باستمرار والتفاوض من خلال الأفعال التي لا تعد ولا تحصى للتحدث، وقد وجد علماء الأنثروبولوجيا اللغوية منذ أمد بعيد أنه من المفيد جمع نصوص أشكال الفن اللفظي، كوسيلة للحصول على مجموعة من الخطاب الطبيعي الممتد للتحليل اللغوي تقليدياً، وقد ركز هذا التحليل على الجملة كوحدة أساسية، وامتاز أيضاً بتوفير وسيلة للتحقيق في الأنماط اللغوية بما يتجاوز الجملة، على أنها نقطة جوهرية متطورة للاهتمامات اللغوية.

وتعد مجالاً متعدد التخصصات موجه لدراسة اللغة بوصفها مورداً ثقافياً والتحدث عنها بوصفها الممارسة الثقافية، بافتراض مفاده: أن مَلَكة اللغة البشرية هي إنجاز معرفي وإنساني قادر على توفير الأدوات الإدراكية للتفكير والعمل في العالم، على أن تتم الدراسة عن طريق توثيق مفصل لما يقوله المتحدثون أثناء مشاركتهم في الأنشطة الاجتماعية اليومية، ويعتمد هذه التوثيق على ملاحظة المشاركين، بما في ذلك التسجيل السمعي-بصري، وعملية النسخ، والمقابلات مع المشاركين.